Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 3 | Page 257– 280 | 2024 |
https://journals.su.edu.ye/index.php
ISSN : 2958-8677

التماسك النصي في سورة الكهف من خلال عنصر التكرار

.Textual Cohesion in Surah Al- Kahf through the Element of Repetition

عبير عبده حزام سفيان الفودعي

قسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب– جامعة الحديدة– الجمهورية اليمنية

Abeer Abdo Hizam Sofian Al- Fawdaie

Department of Arabic Language and literature, Faculty of Arts, Hodeidah University, Republic of Yemen.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة التماسك النصي في سورة الكهف من خلال عنصر التكرار ودراسة التماسك النصي اتجاه حديث في الدرس اللغوي، ويعدُّ التكرار (Recurrence) واحدًا من موضوعاته في المستوى المعجمي الذي من خلاله يمكن التوصل إلى وجود التماسك النصي من خلال ما يحدثه التكرار من أثر في عملية التماسك النصي.

وقد أخذت الدراسات تسعى جاهدة تبحث عن أثر التكرار في التماسك النصي من خلال نحو النص، لذا تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها جاءت إسهامًا في هذا المجال.

وتناولت الدراسة التماسك النصي في سورة الكهف من خلال عنصر التكرار كونه من أبرز مظاهر التماسك النصي، وقد اعتمدت الدراسة على اختيار سورة الكهف على وجه التحديد؛ لما احتوته هذه السورة من تكرار على مختلف أنواعه، كتكرار الحرف والكلمة والجملة والفاصلة القرآنية، معتمدة في ذلك على المنهج الوصفي بالإضافة إلى المنهج النصي. وتهدف هذه الدراسة إلى بيان حقيقة التماسك النصي وإمكانية تحققه من خلال دراسة التكرار في سورة الكهف.

الكلمات المفتاحية: النص– التماسك النصي– التكرار.

Abstract:

The study of textual cohesion is a recent trend in the linguistic lesson. Recurrence is one of the topics of textual cohesion at the lexical level through which the existence of textual cohesion can be determined through the effect that repetition has on textual cohesion.

Studies have been striving to investigate the effect of repetition on textual cohesion through text grammar, so the importance of this study lies in the fact that it made a contribution in this field.

This study examines the textual cohesion in Surah Al-Kahf through the element of repetition, as it is one of the prominent aspects of textual cohesion. The study relied on choosing Surah Al-Kahf specifically due to the abundance and variety of repetition found within this surah, encompassing repetition at the level of letters, words, sentences, and entire Quranic verses.

Keywords: Texte- Textual cohesion- Recurrence

المقدمة:

ينظر الدارسون لعلم اللغة النصي اليوم إلى النص على أنه شبكة من العلاقات الداخلية والخارجية، ويعتنون بالعلاقات الداخلية للنص، الكائنة بين العناصر المفردة أو التركيبية، ويعتنون بالعلاقات الخارجية للنص المتمثلة في ثلاثية النص والمرسِل والمرسَل إليه، وعلاقة كل ذلك بالسياق وبالنصوص الأخرى.

وتعد دراسة هذه العلاقات هي جوهر النظرية النصية التي تدعو إلى تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص الكاملة المستقلة، باعتبار النص وحدة كلية مترابطة ومتواشجة بفعل معايير تحليل الخطاب والتماسك النصي، من هنا تأتي أهمية دراسة التكرار في النصوص وعلى رأسها النص القرآني باعتباره وحدة متماسكة ومترابطة بفعل هذه الأدوات.

على الرغم من شيوع النظرة الجزئية في الدراسات القديمة التي دارت في إطار نحو الجملة فإننا نجد لعدد من مفسري القرآن الكريم نظرات صائبة وتحليلات دقيقة تدخل في إطار نحو النص. فقد تحدثوا عن المناسبة بين آيات القرآن وسوره، وخصصوا في ذلك كتبًا، من مثل ما فعله البقاعي في " نظم الدرر" والسيوطي في " تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور"، وتحدثوا عن تماسك القرآن آيات وسورًا، وصدروا في ذلك عن مبدأين مهمين: أحدهما أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، والثاني أن سياق القرآن كالسورة الواحدة.

إنَّ القرآن الكريم هو كلام الله المعجز لأهل كل زمان ومكان، ضمنه الله تعالى أرقى أساليب البلاغة والبيان، لا تدانيه بلاغة، ولا تجاريه فصاحة، ومن الأساليب التي تضمنها أسلوب التكرار وهو بالطبع لا يخلو من حكمة، وإلا كان عبثًا وهو أمر محال على الله وعلى كلامه، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس في القرآن تكرار محض، بل لابد من فوائد في كل خطاب [1]».

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة موضوعها، والظاهرة التي تعالجها، ولا شك أن لهذا الموضوع أهمية بالغة كونه يتعلق بالتكرار في القرآن الكريم، وأثره في التماسك النصي لسورة الكهف ويمكن إجمال جوانب أهمية الدراسة في الآتي:

– حاجة المكتبة العربية، لمثل هذا اللون من ألوان الدراسة والذي لا يزال مهملاً في بعض جوانبه، فالموضوع يحتاج إلى مزيد من الجهود والعناية والاهتمام والدراسة.

– مواكبة التطور الحاصل في علم اللغة؛ حيث انتقل الاهتمام من نحو الجملة إلى نحو النص، فلابد من وجود أدلة تدل على أنّ النص وحدة واحدة متشابكة، ومن بين العناصر التي تؤدي إلى هذه الوحدة "التكرار".

والمؤمل أن تُسهم هذه الدراسة في تبصير القارئ بحقيقة التكرار، وأثره في التماسك النصي في سورة الكهف.

إنَّ أهم أسباب اختيار هذا الموضوع تكمن فيما يأتي:

1– المساهمة في موضوع التماسك النصي الذي يعد من الدراسات الحديثة المتعلقة بعلم اللغة "اللسانيات".

2– الرغبة في التعرف على وسائل ومعايير التماسك النصي والتي من بينها التكرار.

تصبو الباحثة من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1– بيان حقيقة التماسك النصي وإمكانية تحققه من خلال دراسة التكرار في سورة الكهف.

2– الوقوف على أنواع التكرار، وفوائدها وأثره في التماسك النصي لسورة الكهف.

[1] الحسنة والسيئة. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بترقيم الشاملة، ص150.

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي [2]، وذلك من خلال الاطلاع على أهم كتب التفسير، والنحو، واللغة، وكذا الكتب المتعلقة بموضوع الدراسة، وجرى استخلاص المعلومات المتعلقة بها من جميع جوانبها، مع عزو الآيات القرآنية التي ترد في البحث إلى سورها وأرقامها في كتاب الله تعالى على النحو التالي: {... نص الآية ...} [اسم السورة: رقم الآية] ، وتوثيق المنقول من كلام أهل العلم من مصادرها، بالإضافة إلى استخدام المنهج النصي وهو من المناهج الحديثة الذي يدرس النص "نحو النص" معتمدًا على نحو الجملة.

وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين.

المقدمة: وقد شملت الآتي:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع في البحث.

المبحث الأول: مفهوم التكرار، وأنواعه وفائدته في التماسك النصي.

المبحث الثاني: أثر التكرار في التماسك النصي لسورة الكهف.

الخاتمة

ثم فهرس المصادر والمراجع.

وقد واجهتني بعض الصعوبات أثناء كتابة هذا البحث متمثلة بقلة المصادر النصية التي تهتم بالدراسة النصية للقرآن الكريم، إضافة إلى ذلك قلة الكتب التي تعتمد على المنهج النصي في الدراسة خصوصًا كتب البحث العلمي وطرقه، حيث لم أجد– في حدود اطلاعي– تعريفًا وافيًا لهذا المنهج في كتب البحث العلمي.

المبحث الأول:

مفهوم التكرار، وأنواعه وفائدته في التماسك النصي

أولاً: مفهوم التكرار (Recurrence).

يعد التكرار من أبرز وسائل التماسك النصي على المستوى المعجمي، ويعني إعادة ذكر عنصر من عناصر المعجم في النص مرة أو أكثر، بشكل كلي أو جزئي، أو بذكر مرادف هذا العنصر.

التكرار لغةً:

جاء في لسان العرب: «كرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى» [3]، كما جاء في القاموس المحيط: «كر عليه كرًا وكرورًا وتكرارًا: عطف، رجع، فهو كرار ومكر، بكسر الميم [4]»، وفي المعجم

[2] المنهج الوصفي يعرف بأنّه: وصف دقيق وتفصيلي لظاهرة أو موضوع محدد على صورة نوعية أو كمية رقمية، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة أو حجمها ودرجة ارتباطها مع الظاهرات المختلفة الأخرى، وقد يقتصر هذا المنهج على وضع قائم في فترة زمنية محددة أو تطويرا يشمل عدة فترات زمنية. ينظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية. رجاء وحيد دويدري. دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان– دار الفكر– دمشق– سورية، ط1، جمادى الآخرة 1421 هـ– أيلول سبتمبر 2000م، ص183.

[3] لسان العرب. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ). دار صادر– بيروت، ط3، 1414هـ، 5/ 135.

[4] القاموس المحيط. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ). تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط8، 1426هـ – 2005م، ص469.

الوسيط: «(كرر) الشيء تكريرًا وتكرارًا أعاده مرة بعد أخرى، (تكرر) عليه كذا أعيد عليه مرة بعد أخرى [5]».

جاء في كتاب الصاحبي: «التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عباد:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

فكرر قوله: "قربا مربط النعامة مني" في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر وأراد الإبلاغ في التنبيه والتحذير [6]»، كما عرّفه الشريف الرضي بقوله: «التكرير ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير والغالب فيما يفيد التأكيد أن يذكر بلفظين فصاعداً [7]»، وفي هذا التعريف إشارة واضحة لما يؤديه التكرار من دور بالغ الأهمية في التماسك النصي.

ومن التعريفات النصية للتكرار: هو إعادة العنصر المعجمي بلفظة أو شبه لفظة أو بمرادفه، أو بزنته، أو بمدلوله، أو ببعض منه، أو بالاسم العام له، مما يؤدي إلى تماسك النص وسبكه [8].

وتقول ليندة قياس بأنّه: «يطلق بعض الدارسين على هذه الوسيلة الاتساقية- التكرار-"الإحالة التكرارية"، ويتمثل في إعادة عنصر أو عدد من العناصر اللغوية في بداية كل جملة من جمل النص لغرض التأكيد [9]».

فهو إذاً شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف، ويطلق البعض على هذه الوسيلة "الإحالة التكرارية"، وتكون متمثلة في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص، قصد التأكيد، وهذا التكرار في ظاهر النص يصنع ترابطًا بين أجزاء النص بشكل واضح [10].

والذي أذهب إليه، أنّ التكرار: هو إعادة ذكر العناصر المعجمية على مستوى النص، بشكل كلي أو جزئي، على مستوى الصوت أو اللفظ أو التركيب، ويشكل عنصرًا من عناصر الاتساق المعجمي مما يحدث ترابطًا نصيًا.

ثانيًا: أنواع التكرار.

يتحقق التكرار على مستويات متعددة كتكرار الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، والقصص كما هو شائع في النص القرآني.

ومنه التكرار المعجمي الذي مثّل له هاليداي ورقية حسن بنموذج: « Wash And Care Six" cooking apples put the applies into afire proof dish"

---

[5] المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار)، دار الدعوة، 2/ 782.

[6] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ). الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م، ص158.

[7] شرح الرضي على الكافية. رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي. ط.د، 1/ 49.

[8] ينظر: النص والخطاب والإجراء. روبرت دي بوجراند. تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ- 1998م، ص303. ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. محمد خطابي. المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1991م، ص24.

[9] لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجًا. ليندة قاسم. تقديم: أ.د عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة، ص125.

[10] ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي. أحمد عفيفي مطر. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، ص106.

اغسلي وانزعي نوى ست تفاحات للطبخ ضعي التفاحات في صحن يقاوم النار.

ففي هذا المثال تم التماسك عن طريق تكرار كلمة " التفاحات" تلك الكلمة المكررة وهي في حالة تعريف، وهذا التعريف بأل لا يستطيع أن ينكر دوره أيضًا في المساعدة على التماسك النصي [11]».

تتنوع صور الروابط التكرارية فيما يلي [12]:

1- التكرار المحض "التكرار الكلي"، وهو نوعان:

- التكرار مع وحدة المرجع "أي أن يكون المسمى واحدًا".
- التكرار مع اختلاف المرجع "أي أن يكون المسمى متعدد".

2- التكرار الجزئي، ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة.

3- المرادف.

4- شبه التكرار: يقوم في جوهره عل التوهم، إذ تفتقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض، ويتحقق شبه التكرار غالبًا في مستوى التشكل الصوتي وهو أقرب إلى الجناس الناقص.

5- تكرار لفظ الجملة.

6- التضام.

ومن أنواع التكرار: التكرار الجراماتيكي: «وهو عبارة عن تكرار لنظم الجمل بكيفية واحدة أي تكرار للطريقة التي تبنى بها الجملة وشبه الجملة مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل حيث تبنى بشكل متوازٍ في الشعر أساسًا، وفي النثر وفق هذا المفهوم" وإذا حاولنا الربط بين مفهوم التكرار الجراماتيكي ومفهوم التوازي فإن تكرار نظم الجمل يعد نوعًا من التوازي في هذا المستوى؛ لأن التوازي مركب ثنائي التكوين أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر، وهذا الآخر- بدوره- يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه، نعني أنها ليست علاقة تطابق كامل [13]».

ثالثًا: فوائد التكرار:

تشير الدراسات اللسانية إلى أنّ هذه الظاهرة اللغوية تسهم بشكل واضح في ربط عناصر النص المتباعدة، كما تحقق استمرارية النص، وتلاحمًا بين عناصره من خلال استمرارية عنصر لغوي من أول النص إلى آخره، وهذا العنصر يربط بين أجزاء النص مع تضافر عوامل التماسك الأخرى، ويمكن إجمال فوائد التكرار في عملية التماسك النصي في الآتي [14]:

1- الاستمرارية: الاستمرار في تكرار كلمة معينة يسهم في تتابع النص وترابطه، وبالرغم من تكرار الوحدة المعجمية نفسها، إلا أن الكلمتين المكررتين لا تحملان الدلالة ذاتها.

2- شد النص، وسبكه من خلال هذا الاستمرار والاطراد.

---

[11] نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص106.

[12] ينظر: النص والإجراء والخطاب، 303-307.

[13] نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص106- 107.

[14] ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي: مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف. نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة. مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، السعودية، العدد8، رجب1433هـ- مايو 2012م، ص16 وما بعدها. وينظر: التكرار في الشعر الأندلسي: شعراء قرطبة في القرن الخامس الهجري أنموذجًا. أطروحة دكتوراة، إعداد: محمد أحدم مفضي الرقيبات، إشراف: يونس خيرو الشديفات. جامعة اليرموك- كلية الآداب، الأردن، 2011م، ص18 وما بعدها.

3- كثافة الكلمات المكررة داخل النص، إذ إنّ الكلمة المكررة تكتسب كثافة أعلى.

4- إن بناء النص على عناقيد من الكلمات المكررة يوضح القضية الكبرى في النص، فتلك هي المفاتيح التي تربط المحتوى، وتسهم في الربط بينها.

5- يحمل طاقة وظيفية متميزة، تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص، وإبقائه عليها في بؤرة التعبير.

6- إعادة اللفظ تمنح منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة، لأن أحد العنصرين قد يسهم في فهم الآخر؛ مما يدعم بناء النص وإعادة تأكيده، ويخدم الجانب الدلالي والتداولي فيه، الأمر الذي يفرض تآزرًا ما بين الجانب المعجمي للنص، وسياقه الخاص.

7- تسهيل فهم الكلام، وفائدته هنا تتمثل في أنه يظهر تعالق الجمل بعضها ببعض، كما أنه يسهل للسامع أو القارئ فهم النص.

8- إنعاش ذاكرة المتلقي.

ومن خلال هذه الفوائد، فإنّ أهمية التكرار تكمن في أنه وسيلة من وسائل التماسك

رابعًا: تعريف النص، والتماسك النصي ومعاييره.

أولاً: تعريف النص.

يشكل مفهوم النص أحد المفاهيم اللسانية الأساسية، وقد أنشئت حوله العديد من الدراسات مثل: نظرية النص، ونحو النص، بل يعتبر مادة أساسية ومشتركة بين عدة علوم منها: علم الاجتماع، علم النفس... [15]

النص لغةً: ن ص :(نص) الشيء رفعه وبابه رد ومنه (منصة) العروس بكسر الميم، و (نص) الحديث إلى فلان رفعه إليه. و (نص) كل شيء منتهاه [16].

ويقال: «نص الحديث رفعه وأسنده إلى المحدث عنه، والمتاع جعل بعضه فوق بعض وفلانا أقعده على المنصة والشيء حركه يقال: هو ينص أنفه غضبا والدابة استحثها شديدا ويقال نص فلانا استقصى مسألته عن شيء حتى استخرج كل ما عنده [17]».

وجاء في لسان العرب أيضًا: «نصص: النص: رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصًا: رفعه. وكل ما أظهر، فقد نص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند. يقال: نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه. ونصت الظبية جيدها: رفعته. ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. والمنصة: ما تظهر عليه العروس لترى، وقد نصها وانتصت هي، والماشطة تنص العروس فتقعدها على المنصة، وهي تنتص عليها لترى من بين النساء [18]».

---

[15] لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجًا، ص15.

[16] ينظر: مختار الصحاح. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ). تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م، ص 312، والقاموس المحيط، ص632. ولسان العرب، 97/7.

[17] المعجم الوسيط، 2/ 926.

[18] لسان العرب،7/ 97.

اصطلاحًا:

يرى مجموعة من النقاد والدارسين أنّ البحث عن تعريف لمفهوم النص أمر صعب لتعدد معايير هذا التعريف ومداخله، ومنطلقاته، ومضامينه، ومن بين أشهر تعريفات النص التعريف الذي أورده سعيد البحيري عن هارفج إذ يرى أنَّ النص: «ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص [19]».

ويقرر هاليداي ورقية حسن بأنّه: «إذا كانت الجملة وحدة أساسية في الدرس النحوي، فإنّ النص ليس بنية نحوية أكثر حجمًا من الجملة، أو مجرد سلسلة من الجمل أو جملة كبرى، وإنما هو بنية من نمط مختلف، إنّه يشكل وحدة دلالية unite (semantique) الوحدة التي لها معنى (sens) في سياق (context)[20]»، ومن هذه التعريفات تعريف الأزهر الزناد إذ يعرف النص بأنّه: علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدال ووجه المدلول، ويتوفر في مصطلح نص في العربية، وفي مقابله في اللغات الأجنبية (texte) بمعنى النسيج، فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في آن واحد، هو ما نطلق عليه اليوم مصطلح النص[21].

أما على صعيد التراث العربي فسنجد أن الجرجاني في التعريفات ذكر بأنّ النص هو: «ما ازداد وضوحًا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي، كان نصًا في بيان محبته، وما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، وقيل: ما لا يحتمل التأويل [22]».

ثانياً: التماسك النصي، ومعاييره.

مفهوم التماسك النصي:

يعد التماسك جوهر العلاقات النصية؛ لأنه بمثابة العلاقة الكبرى التي تضم سائر العلاقات الأخرى [23].

فقد شرع «علماء النص يولون التماسك عناية قصوى، ويذكرون أنّه خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط[24]»، فقد تجسدت أمامهم فائدة الترابط والتلاحم بدءا بالربط بين المستويات المختلفة في النص الواحد، فكان هذا الإصرار من نحاة النص على رفض الفصل بين المستويات اللغوية، فظهر أنّ من أهم ملامح نحو النص دراسة الروابط مع التأكيد على المزج بين المستويات المختلفة، وكل هذا يؤدي إلى الاتساق الذي

---

[19] علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات. سعيد حسن بحيري. مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية، ط1997م، ص108.

[20] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. جميل عبد المجيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1998م، ص81.

[21] ينظر: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا. الأزهر الزناد. المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م، ص12.

[22] كتاب التعريفات. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ). ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1403هـ–1983م، ص265.

[23] ينظر: العلاقات النصية في القرآن الكريم دراسة نحوية لجهود المفسرين. مصطفى أحمد عبد العليم. جامعة القاهرة– كلية دار العلوم، ص4.

[24] بلاغة الخطاب وعلم النص. صلاح فضل. عالم المعرفة، العدد: 164، ص263.

يتضح في تلك النظرة الكلية إلى النص دون فصل بين أجزائه [25].

فنحو النص كما يتحدث عنه سعيد البحيري يدور في ميدان أكثر رحابة واتساعًا وشمولاً في المزج بين كل هذه المستويات المتداخلة، التي لا يصح الفصل بينها، وبذلك للوصف النصي خاصية جوهرية تفرقه عن الوصف البلاغي والأسلوبي، أعني شمولية النظرة واتساع أفق البحث من خلال نماذج نصية ثرية المكونات، تتجاوز حدود النماذج البلاغية والأسلوبية[26].

من هنا فإنّ الاتساق يعني تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره، دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة، ولا يحدّه شيء، ولعل تحقيق ذلك أمر بالغ الصعوبة، إذ تحقيق الاتساق على هذا المستوى يتطلب قدرة على النظر الشامل، ويستلزم دقة في تلمس العلاقات المتشابكة، ويحتاج إلى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة [27].

ومن خلال ذلك فإن ما يجعل السياق سياقًا مترابطًا، إنما هي ظواهر في طريقة تركيبه ورصفه- معايير- لولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذ بعضها بحجز بعض، في علاقات متبادلة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السياق، وتنقسم الوسائل التي تخلق هذا الترابط إلى ثلاثة أقسام [28]:

1- وسائل التماسك السياقي (Transitivity).

2- وسائل التوافق السياقي (Coneord).

3- وسائل التأثير السياقي (Governance) أو (Regimen).

أولاً: التماسك السياقي:

يقول عبد القاهر الجرجاني: «واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك، علمت علمًا لا يتعرضه الشك: أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، وينبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس.

وإذا كان كذلك، فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها: ما معناه وما محصوله، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعتمد إلى اسم، فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعتمد إلى اسمين، فتجعل أحدهما خبرًا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسمًا على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيدًا له أو بدلا منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة، أو حالاً أو تمييزًا، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيًا أو استفهامًا، أو تمنيًا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطًا في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس[29]».

فهذا الترتيب الذي يقول به عبد القاهر بين الكلمات في السياق، هو أساس التماسك بينها، والواقع

---

[25] ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص95.

[26] ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص60.

[27] ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص96.

[28] ينظر: مناهج البحث في اللغة. تمام حسان. مكتبة الأنجلو المصرية، ص203.

[29] دلائل الإعجاز في علم المعاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ). تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م، ص44.

أنه ترتيب بين الأبواب، يقول تمام حسان: «وهو ما نخالف فيه عبد القاهر، على أنّ هذا العلَّامة قد فطن إلى ضرورة التماسك السياقي على أي حال، كشرط من شروط البلاغة، وجعله مبنيا على المعنى، وواضح هنا أن هذا المعنى ليس معجميا ولا دلاليًا، وإن قصد به عبد القاهر ذلك، وإنما هو معنى وظيفي، يدور حول وظيفة الباب في السياق.

يعمد بعض المؤلفين أحيانًا، وعلى الأخص أصحاب الحواشي، إلى الإتيان بالمبتدأ في صفحة، ثم بالخبر بعده بصفحات، فما الذي يجعل هذا الخبر مترابطًا مع ذلك المبتدأ؟ إنه ولا شك التماسك السياقي؛ ولولا ذلك التماسك لظل المبتدأ المسكين يتطلب خبره، إلى أن يتم الكتاب بعونه تعالى، ثم انظر بعد ذلك في "ضرب محمد عليًا"، لترى فيها عددًا من العلاقات المتشابكة، محمد فاعل لضرب، وعلي مفعول بها، وقد جاء ضرب في صيغة المفرد الغائب، ليتماسك مع محمد الذي يطلبه بهذه الصورة، ووجود علي في الجملة منصوبا قضى بالرفع لمحمد، وبصفة التعدي لضرب، وهلم جرا [30]».

ثانيًا: التوافق السياقي:

من أجل ذلك فالتماسك السياقي يقتضي توافقًا بين أجزاء معينة في السياق في بعض النواحي الآتية، أو كلها:

أ- التكلم والحضور والغيبة "الشخص".

ب- الإفراد، والتثنية، والجمع "العدد".

ج- التذكير والتأنيث "النوع".

ثالثًا: التأثير السياقي:

والتماسك والتوافق أثران من آثار التأثير السياقي الملحوظ في تركيب الجملة، والعلاقات المتبادلة بين الفعل والفاعل، والمفعول في "ضرب محمد عليا"، ونحب أن نضيف هنا أن التطريز اللغوي، "أو القيم الخلافية التي تميز كل باب في السياق عن الأبواب الأخرى"، مسؤول إلى حد كبير عن رفع محمد، ونصب علي، ومعنى ذلك أن القيم الخلافية بين أبواب النحو، سبب في اختلاف حركات الإعراب، فالاختلاف بين وظيفة الفاعل ووظيفة المفعول في الجملة أدى إلى رفع الأول، ونصب الثاني، ويظهر أن بعض النحاة القدماء قد فطن لهذا، وقال به [31].

يقول ابن مضاء: «وأما من يرى أن العرب إنما راعت المعاني، وجعلت اختلاف الألفاظ في الغالب دليلا على اختلاف المعاني، فإنه يجيز ... إلخ [32]».

ويقول في موضع آخر: «وتقول: "لا تأكل السمك وتشرب اللبن"، أي لا تجمع بينهما، ولو جزم لنهاه عن الجمع والتفرقة، ولو رفع لنهاه عن أكل السمك، ووجب له شرب اللبن [33]».

يقول تمام حسان: «فابن مضاء هنا يجعل اختلاف الحركات لاختلاف المعاني الدلالية، ولو أنصف لجعلها لاختلاف الوظيفة النحوية التي يؤديها "تشرب" في الجملة، سواء أكانت هذه الوظيفية عطفًا، أم استئنافًا، أم غير ذلك. فاختلاف الوظيفة مؤثر في

[30] مناهج البحث في اللغة، ص204.

[31] ينظر: المرجع السابق، ص205.

[32] الرّد عَلى النّحاة. أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، ابن مَضَاء، ابن عمير اللخمي القرطبي، أبو العباس (ت: 592هـ). تح: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط1، 1399 هـ- 1979م، ص102.

[33] المرجع السابق، ص122.

الجملة إلى حدٍ كبير، وذلك الاختلاف في الوظيفة هو المقصود بالتطريز اللغوي، والقيم الخلافية.

وهذا في الواقع مساهمة في نقد نظرية العامل؛ لأن القيم الخلافية إذا أثرت في السياق هذا التأثير، لم يكن هناك داع لافتراض عامل، ومعمول في الجملة، ولإيضاح ذلك نقول: إن الأبواب الرئيسية في النحو ذات مواقع معينة في السياق؛ فالفعل قبل الفاعل دائمًا، والمبتدأ يسبق الخبر في الغالب، والإشارة تسبق المشار إليه، والموصول يسبق الصلة، والموصوف يسبق الصفة، وهلم جرا. فإذا جاء اسم منصوب؛ فنصبه على الخلاف بينه وبين الفاعل، وتقدم الخبر على المبتدأ، إنما يكون مثلاً لاختلاف الوظيفة في نحو "زيد قائم" عنها في "أقائم زيد".

وإذا تأخرت الإشارة عن المشار إليه في نحو "لقاء يومكم هذا"، فللخلاف بين "يوم" في حالة الإضافة كما في المثال، وبينه في حالة اتصاله بأداة التعريف، كما في هذا اليوم، وهلم جرا، وليس القول بأثر القيم الخلافية في السياق قولا بنظرية جديدة للعامل؛ لأن القيم الخلافية لا تعمل، وإنما تُرَاعَى، وهي فروق سلبية، لا عوامل إيجابية. وهي من ناحية أخرى، يمكن أن تتبني عليها نظرية نحوية شكلية تامة، ليس لها ما لنظرية العامل من التناقض، والحاجة إلى التأويل، والتمحك.

نخلص من ذلك إلى أن ما يجعل السياق مترابطًا، إنما هو ظواهر فيه تفرق بينه وبين نسق من الكلمات، التي لها مجرد المجاورة بلا رابط، نحو "محمد في بل قم على قبائل راكب"، فهذه كلمات متراصة ينقصها التماسك، والتوافق، والتأثير، ولو توفرت لها العناصر المذكورة، لأصبحت سياقًا عربيًا لا غبار عليها [34]».

معايير النصية [35]:

1- السبك (Cohesion).
2- الحبك (Coherence).
3- القصدية (Intentionality).
4- المقبولية(Acceptability).
5- الإعلامية (Informativity).
6- الموقفية (Situationality).
7- التناص(Intertextuality).

ومن أهم معايير التماسك النصي، هما معياري السبك والحبك؛ فهما المعياران اللذان يحددان النص في ذاته؛ فالسبك مختص بالعلاقات والأدوات الشكلية الظاهرة في سطح النص، وهو بذلك يمثل المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى المعجمي من مستويات اللغة.

والسبك فهو المعيار الذي يختص بالإجراءات التي تبدو بها العناصر السطحية الظاهرة في سطح النص الملفوظ بها في صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق للنص من خلالها الترابط الرصفي.

وأما الحبك مختص بالعلاقات المعنوية الملحوظة التي تدرك بالعقل، وهو بذلك يمثل المستوى الدلالي من مستويات اللغة [36].

والحبك، هو المعيار الذي يختص بالعلاقات الملحوظة غير الملفوظة التي تدرك بالعقل بين أجزاء

[34] مناهج البحث في اللغة، ص207,206.
[35] ينظر: النص والخطاب والإجراء، 102-105.
[36] ينظر: التماسك النصي في شعر زهير بن أبي سُلمى دراسة نحوية نصية. أطروحة دكتوراه، إعداد: يوسف حسن حسن عجيلي. إشراف: أحمد محمد كشك، جامعة عين شمس، 2010م، ص13.

النص وجمله؛ بحيث يتحقق للنص من خلالها الترابط المفهومي[37].

المبحث الثاني:

أثر التكرار في التماسك النصي لسورة الكهف.

التحليل النصي لسورة الكهف من خلال التكرار:

المحور الموضوعي لسورة الكهف هو تصحيح العقيدة وتصحيح النظر والفكر وهذا ما أكد عليه سيد قطب في تفسيره لهذه السورة حيث يقول: «أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة[38].

ثم يتحدث عن البناء النصي لهذه السورة، وتماسك المحور العام مع بقية المحاور، وجعل الترابط بين أجزائها من بداية السورة إلى ختامها يدور حول موضوع واحد، إذ يقول في ذلك: «فأما تصحيح العقيدة فيقرره بدؤها وختامها. في البدء:((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرًا حسنا ماكثين فيه أبدًا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبًا))[الكهف: ١ – ٥].

وفي الختام:((قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا)) [الكهف: ١ – ٥]، وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث[39]».

ومن هذا فإنّ سورة الكهف تتكون من خمس قصص، هذا يجعلنا نقول إنّ هناك استمرارية تحققت في هذه القصص، والتي حققت بدورها التماسك النصي، وهي الغاية المرجوة من كل قصة، فكلها تصل إلى نتيجة واحدة تتمثل في انتصار الخير والحق.

يمكننا أن نعد هذه الاستمرارية التي تكررت في القصص الخمس نمطًا جديدًا من التكرار، وهو ما يعرف "بالتكرار الدلالي"، وله دور في تحقيق التماسك النصي: فتلك الدلالة قد تكررت في وحدات السورة كلها.

وهو ليس وقفًا على مستوى السورة فحسب، بل يتجاوزه إلى مستوى السورة عامة، فالسورة المكية على وجه الخصوص تعالج قضية العقيدة، ومن ثم نرى بأنّ الأمور المتعلقة بالعقيدة تتكرر في هذه السورة معظمها، لذلك نقول: إن التكرار الدلالي يقوم بوظيفة التماسك النصي بين السور المكية بصفة عامة– أما عن تكرار الكلمات فهو الآخر له دور في تحقيق تماسك هذه السورة، فقد تكرر لفظ (الجلالة) مثلاً في خمس وخمسين موضعًا، ولفظ (القول) في سبع

[37] ينظر: المرجع السابق، ص6.

[38] في ظلال القرآن. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ). دار الشروق– بيروت– القاهرة، ط17، 1412هـ، 2257/4.

[39] المرجع السابق.

وخمسين موضعًا، بالإضافة إلى كلمات أخرى تتكرر في كل قصة دون غيرها.

وما يلاحظ أيضًا في فواصل هذه السورة أنّه حدث تكرار لها لتحقق التماسك النصي من خلال المعنى الكلي لها، فمنذ بداية السورة نجدها تتكرر فيها الألف الساكنة التي ما قبلها مفتوح، فتبدأ السورة بقوله تعالى: ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرًا حسنا ماكثين فيه أبدًا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبًا))[الكهف: ١ – ٥]، فهذه السورة الكريمة تعرضت لثلاث قصص من روائع قصص القرآن الكريم، في سبيل تقرير أهدافها الأساسية لتثبيت العقيدة، والإيمان بعظمة ذي الجلال، أما القصة الأولى فكانت قصة الفتية الذين دخلوا الكهف "أصحاب الكهف"، وهي قصة التضحية بالنفس من أجل العقيدة، أما القصة الثانية فهي قصة موسى مع العبد الصالح "الخضر"، وهي قصة التواضع في سبيل طلب العلم، وما جرى من الأخبار الغيبية التي أطلع الله عليها ذلك العبد الصالح "الخضر" ولم يعرفها موسى عليه السلام حتى أعلمه بها الخضر كقصة السفينة، وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار، أما القصة الثالثة فهي قصة ذي القرنين وهو ملك مكن الله تعالى له بالتقوى والعدل أن يبسط سلطانه على المعمورة، وأن يملك مشارق الأرض ومغاربها، وما كان من أمره في بناء السد العظيم.

وكما استخدمت السورة –في سبيل هدفها– هذه القصص الثلاث، استخدمت أمثلة واقعية ثلاثة، لبيان أن الحق لا يرتبط بكثرة المال والسلطان، وإنما هو مرتبط بالعقيدة، المثل الأول: للغني المزهو بماله، والفقير المعتز بعقيدته وإيمانه، في قصة أصحاب الجنتين، والثاني، للحياة الدنيا وما يلحقها من فناء وزوال، والثالث: مثل التكبر والغرور مصورا في حادثة امتناع إبليس عن السجود لآدم، وما ناله من الطرد والحرمان، وكل هذه القصص بقصد العظة والعبرة، فجاءت في سياق مترابط متصل فيه بداية السورة بنهايتها.

فنلاحظ أنّ فواصل هذه السورة منتهية بحركة واحدة، هذه الحركة المختتمة بها الآيات وهي الفتح تُلتزم في فواصل هذه السورة جميعا، يقول الله تعالى في ختامها: ((ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا إنّ الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم كنات الفردوس نُزُلًا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا)) [الكهف: 106 – 110]، «والتزام الحركة الواحدة كالفتح مع اختلاف الحروف أمر ذو بال في موسيقى التقفية؛ لأنّ المألوف في الشعر العربي والسجع التزام الحركة وحرف الروي معًا. ولو رحنا نتأمل الإيقاع الموسيقي لفواصل سورة الكهف لرأينا أمرًا عجبا يأخذ بالألباب والأسماع جميعا، فما السر؟ لم تكن حروف الروي من مخرج واحد، بل جاءت على التوزيع الآتي:

1- واحد وأربعون رويا ذلقيا [40]، هي الراء أربعة وعشرون، اللام اثنا عشر، النون خمسة.

2- سبعة وعشرون نطْعيا [41]: الدال: خمسة وعشرون، والطاء: اثنان.

3- خمسة وعشرون شفويا [42]، الباء: تسعة عشر، الميم: أربعة، الفاء: اثنان.

4- ستة حروف حلْقية [43]، العين: خمسة، الهمزة: واحد.

5- ستة حروف لهوية [44]، القاف وحدها ستة.

6- حرفان أسليان [45]، هما: الزاي والصاد.

7- حرفان شجريان [46]، هما الجيم والضاد.

إذن اجتمع للروي سبعة مخارج من عشرة في العربية، والمخارج التي لم ترد هي: الجوفية والهوائية واللثوية والخيشومية، أما غياب الأولى فبسبب طبيعتها في المد أو حركتها الساكنة وكذلك غياب الثانية لشبهها بالأولى من حيث الوقف.

وأما الأخيرة فلأنّها من حروف الروي النادرة في العربية، وإن كان القرآن لم يهملها كل الإهمال في مواضع أخرى.

ولم تكن حروف الروي كذلك ذات صفة واحدة، فقد جاءت الحروف المذلقة الستة- الباء والراء والفاء واللام والميم والنون خمسا وستين مرة، في الوقت الذي جاء من المصمتة كل من الدال والزاي والطاء والقاف والعين والواو والصاد والضاد والهمزة ستا وأربعين مرة.

مازال السؤال عن السر في الإيقاع قائما.

لعل السر إذا تجاوزنا دور القرائن والموسيقى الناشئة عن غير الفواصل يرجع إلى عنصرين هما: حركة الفتح أولا، والوزن العروضي في الفاصلة ثانيا.

لدى مراجعة الوزن العروضي للفواصل في سورة الكهف يتبين ما يلي:

أ- غلبة وزن التفعيلة "فاعلن" بجوازاتها على الفواصل.

ب- نسبة توزع الجوازات والشكل الأساسي للتفعيلة "فاعلن" كالتالي:

---

[40] فالذلقية لا تخرج إلا من ذلق اللسان، ينظر: دراسات في فقه اللغة. صبحي إبراهيم الصالح. دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ - 1960م، ص284.

[41] لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، ينظر: تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مراجعة: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 48/1.

[42] نسبة إلى الشفة وهي شفوية.

[43] لأنّ مخرجها من الحلق.

[44] وهو ما اتصل فيه مؤخر اللسان باللهاة، "وهي آخر جزء في مؤخر الطبق"، ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص85.

[45] أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تح: الترزي وحجازي والطحاوي والعزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ط1395هـ- 1975م، 15/ 394.

[46] لأن مبدأهما من شجر الفم، أي مفرج الفم، ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م، ص31.

فَعَلن: 50 تقريبا.

فِعْلن: 34.

فُعُلن: 9.

فاعلن: 9.

فِعَلن:1.

فَعُلن: 1.

ولما كانت التفعيلات (فَعَلن، فُعُلن، فِعَلن، فَعُلن) تأتلف في سناد الحذْو– وهي مزية في الفواصل خلافا للقوافي– صار التشكيل كما يلي:

1– فَعَلن وسنادها: 61.

2– فِعْلن: 34.

4– فاعلن: 9[47]».

وهكذا تختم السورة التي بدأت بذكر الوحي والتوحيد بتلك الإيقاعات المتدرجة في العمق والشمول حتى تصل إلى نهايتها فيكون هذا الإيقاع الشامل العميق الذي ترتكز عليه سائر الأنعام في لحن العقيدة الكبير، وقصص سورة الكهف كلها تتحدث عن إحدى فتن الدنيا، ثم يأتي بعدها تعقيب بالعصمة من هذه الفتن [48]، وتظهر هذه المماثلة والمزاوجة في فواصل سورة الكهف على مدى المائة والعشر آيات التي تضمنتها.

ويبدو التماسك في هذه السورة من خلال ارتباط بدايتها بنهايتها، فعندما بدأ الحديث عن نعمة إنزال الكتاب، كان مسك الختام بالحديث عن آيات الله التي لا تنقضي عجائبها ولا تحصى معانيها، ففي ختامها تقرير لما جاء في مقدمتها وتذكير به قال تعالى: ((قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا))[الكهف:109]، فلقد ختمت السورة الكريمة ببيان طبيعة النبي– صلى الله عليه وسلم– ومهمته قال تعالى: ((قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا))[الكهف: 110]، وفي بداية السورة جاء التبشير للمؤمنين الصالحين بالأجر الحسن في قوله تعالى: ((قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرًا حسنا)) [الكهف: 2]، ثم جاء التفصيل في هذا الأجر في الخاتمة في قوله تعالى: ((إنّ الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم كنات الفردوس نُزُلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا)) [الكهف: 107–108]، كما جاء الإنذار للكافرين بالعذاب الشديد في مقدمة السورة في قوله تعالى: ((قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرًا حسنا)) [الكهف: 2]، جاء التفصيل له في خاتمة السورة في قوله تعالى: ((وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضًا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعًا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنّا أعتدنا جهنم للكافرين نُزُلا))[الكهف: 100–102]، وفي المقدمة دعوة إلى التنافس في صالح الأعمال وأحسنها بتحقيق مراد الله فيها، وذلك بالإخلاص والمتابعة، قال تعالى: ((إنّا جعلنا ما على

[47] الفاصلة في القرآن. محمد الحسناوي. دار عمار، مكتبة لسان العرب، عمان– الأردن، ط2، 1421هـ– 2000م، ص269:272.

[48] ينظر: في ظلال القرآن، ص2297.

الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا))[الكهف: 7]، وأما الخاتمة فقد جاءت بتأكيد وتقرير هذا المعنى بالتحذير من محبطات الأعمال في قوله تعالى: ((قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوًا))[الكهف: 103-106][49] وبهذا بدت السورة مترابطة في بداياتها ونهاياتها. أما عن تكرار الكلمات في هذه السورة فهو الآخر له دور في تحقيق تماسك هذه السورة، «فقد تكرر لفظ "الجلالة" مثلا في خمس وخمسين موضعا، ولفظ "القول" سبعة وخمسين موضعا، بالإضافة إلى كلمات أخرى تتكرر في كل قصة دون غيرها [50]».

فمن أمثلة التكرار في هذه السورة تكرار لفظ الجلالة من الآية الأولى: قال تعالى: ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا)) [الكهف: 1]، إلى الآية الأخيرة في قوله تعالى: ((قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا))[الكهف: 110]، وهذه القصص جميعها من الأمور الغيبية، ولا يعلمها إلا الله، ومن ثم كان تكرار ذكره أمرًا مؤكدًا للتذكير الدائم على أن المخبر لهذه الأمور هو الله ولذا لا مكان للشك فيها.

وكما أنّ وظيفة تكرار الضمائر، التي تقوم مقام الاسم الظاهر، فإننا هنا نجد الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى قد تكررت في تسعة وثمانين موضعا. إذن يمكن القول إنّ لفظ الجلالة قد تكرر في مائة وأربعة وأربعين موضعًا بطول مائة وعشر آيات، مما يوحي بالتماسك القائم بين هذه الآيات.

وهذا التكرار للفظ الجلالة يحقق التماسك على مستوى الآية الواحدة، وأكثر من آية؛ فعلى المستوى الأول رأينا ما بين اللفظ والضمائر كما في قوله تعالى: ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا)) [الكهف: 1].

فقد ذكر لفظ الجلالة على هذا النحو خمس مرات؛ فالضمائر "الذي"، أنزل "هو" عبده، يجعل "هو" تعود إلى اللفظ المذكور في صدر الآية. ومن ثم فهي تكرار اللفظ، وتحقق تماسكها، وكذلك بين الأسماء الظاهرة في قوله تعالى:((إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينِ ربي لأقرب من هذا رشدًا))[الكهف: 24] فقد تكرر اللفظ ثلاث مرات، وكذلك بين الاسم الظاهر والضمائر كما في قوله تعالى:((قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه ولي ولا يشرك في حكمه أحدًا))[الكهف: 26] ، فقد تكررت من خلال الضمائر سبع مرات.

والتكرار للاسم الظاهر في الآيات 38، 39، 82، 98، 109، 110، والتكرار للاسم الظاهر عبر الضمائر التي تحيل إليه في الآيات أمثلته الآيات 10،

[49] ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: أ.د مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، 1431هـ-2010م، ص288-289.

[50] بنية النص في سورة الكهف- مقاربة نصية للاتساق والسياق. رسالة ماجستير، إعداد: شعيب محمودي. إشراف: أ.د يحيى بعيطيش، كلية الآداب واللغات-الجزائر، 2009-2010م، ص90.

14، 16، 21، 26، 27، 28، 29، 40، 48، 50، 57، 58، 87، 98، 105[51].

وإذا ما أخذنا بدراسة التكرار في سورة الكهف في قوله تعالى:((سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمارِ فيهم إلا مراءً ظاهرًا ولا تستفتِ فيهم منهم أحدًا))[الكهف: 22] ، يقول الكرماني في ذلك: « قوله تعالى: {سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم} بغير واو {ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم} بزيادة واو، في هذه الواو أقوال، إحداها: أن الأول والثاني وصفان لما قبلها أي هم ثلاثة وكذلك الثاني أي هم خمسة سادسهم كلبهم والثالث عطف على ما قبله أي هم سبعة عطف عليه {وثامنهم كلبهم}.

وقيل: كل واحد من الثلاثة جملة وقعت بعدها جملة وكل جملة وقعت بعدها جملة فيها عائد يعود منها إليها، فأنت في إلحاق واو العطف وحذفها بالخيار وليس في هذين القولين ما يوجب تخصيص الثالث بالواو وقال بعض النحويين السبعة نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها في القرآن والأخبار والثمانية تجري مجرى استئناف كلام، ومن هنا لقبه جماعة من المفسرين بواو الثمانية واستدلوا بقوله سبحانه {التائبون العابدون الحامدون} إلى {والناهون عن المنكر}[التوبة: 112] ، وبقوله {مسلمات مؤمنات قانتات} إلى {ثيبات وأبكارا}[التحريم: 5] , وبقوله {وفتحت أبوابها}[الزمر: 73] .

وزعموا أنَّ هذه الواو تدل على أن أبوابها ثمانية ولكل واحد من هذه الآيات وجوه ذكرتها في موضعها وقيل إن الله حكى القولين الأولين ولم يرضهما وحكى القول الثالث فارتضاه وهو قوله: {ويقولون سبعة} ثم استأنف فقال: {وثامنهم كلبهم} ولهذا عقب الأول والثاني بقوله: {رجما بالغيب} ولم يقل في الثالث، فإن قيل وقد قال في الثالث: {قل ربي أعلم بعدتهم}، فالجواب تقديره قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم أنهم سبعة وثامنهم كلبهم بدليل قوله: {ما يعلمهم إلا قليل}، ولهذا قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل فعد أسماءهم، وقال بعضهم الواو في قوله: {ويقولون سبعة} يعود إلى الله تعالى فذكر بلفظ الجمع كقوله {أما} وأمثاله هذا على الاختصار[52]».

وفي هذه الواو قول آخر ذكره القرطبي في تفسيره، إذ يقول إن قوم ذهب إلى أنّ: «عددهم سبعة: إنما ذكر الواو في قوله: "سبعة وثامنهم" لينبه على أن هذا العدد هو الحق، وأنه مباين للأعداد الأخر التي قال فيها أهل الكتاب، ولهذا قال تعالى في الجملتين المتقدمتين" رجما بالغيب" ولم يذكره في الجملة الثالثة ولم يقدح فيها بشيء، فكأنه قال لنبيه هم سبعة وثامنهم كلبهم. والرجم: القول بالظن، يقال لكل ما يخرص: رجم فيه ومرجوم ومرجم، كما قال: وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم[53]»،

[51] ينظر: بنية النص في سورة الكهف مقاربة نصية للاتساق والسياق، ص90 وما بعدها.

[52] أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان. محمود بن حمزة الكرماني. تح: عبد القادر أحمد عطا، راجعه: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، ص168- 169.

[53] الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي

ويتساءل صاحب الكشاف عن هذه الواو بقوله: «فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها دون الأولين؟ قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حال عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر. ومررت بزيد وفي يده سيف [54]»، ويقول محمد الطاهر عاشور في هذه الواو: «قلت: أقدم هؤلاء هو ابن خالويه النحوي المتوفى سنة 370 هـ فهو المقصود ببعض ضعفة النحاة. وأحسب وصفه بهذا الوصف أخذه ابن هشام من كلام ابن المنير في «الانتصاف على الكشاف» من سورة التحريم إذ روي عن ابن الحاجب: أن القاضي الفاضل كان يعتقد أن الواو في قوله تعالى: "ثيبات وأبكارا" في سورة التحريم [5] هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية. وكان القاضي يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة، أحدها: التي في الصفة الثامنة في قوله تعالى: "والناهون عن المنكر" في سورة براءة [112]. والثانية: في قوله: "وثامنهم كلبهم".

والثالثة: في قوله: "وفتحت أبوابها" في الزمر [73]. قال ابن الحاجب ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه إلى أن ذكره يوما بحضرة أبي الجود النحوي المقري فبين له أنه واهم في عدها من ذلك القبيل وأحال البيان على المعنى الذي ذكره الزمخشري من دعاء الضرورة إلى الإتيان بالواو هنا لامتناع اجتماع الصفتين في موصوف واحد إلى آخره.

وقال: سبق الثعلبي الفاضل إلى عدها من المواضع في تفسيره.

وأقول: لعل الفاضل لم يطلع عليه. وزاد الثعلبي قوله تعالى: "سبع ليال وثمانية أيام حسوما" في سورة الحاقة [7] حيث قرن اسم عدد (ثمانية) بحرف الواو.

ومن غريب الاتفاق أن كان لحقيقة الثمانية اعتلاق بالمواضع الخمسة المذكورة من القرآن إما بلفظه كما هنا وآية الحاقة، وإما بالانتهاء إليه كما في آية براءة وآية التحريم، وإما بكون مسماه معدودا بعدد الثمانية كما في آية الزمر. ولقد يعد الانتباه إلى ذلك من اللطائف، ولا يبلغ أن يكون من المعارف. وإذا كانت كذلك ولم يكن لها ضابط مضبوط فليس من البعيد عد القاضي الفاضل منها آية سورة التحريم لأنها صادفت الثامنة في الذكر وإن لم تكن ثامنة في صفات الموصوفين، وكذلك لعد الثعلبي آية سورة الحاقة ومثل هذه اللطائف كالزهرة تشم ولا تحك.

وجملة "قل ربي أعلم بعدتهم" مستأنفة استئنافًا بيانيًا لما تثيره جملة سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم إلى آخرها من ترقب تعيين ما يعتمد عليه من أمر عدتهم. فأجيب بأن يحال العلم بذلك على علام الغيوب. وإسناد اسم التفضيل إلى الله تعالى يفيد أن علم الله بعدتهم هو العلم الكامل وأن علم غيره مجرد ظن وحدس قد يصادف الواقع وقد لا يصادفه.

وجملة "ما يعلمهم إلا قليل" كذلك مستأنفة استئنافًا بيانيًا لأن الإخبار عن الله بأنه الأعلم يثير في نفوس السامعين أن يسألوا: هل يكون بعض الناس عالما بعدتهم علما غير كامل، فأجيب بأن قليلا من الناس

(ت: 671هـ). تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964م، 383/10.

[54] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467–538 هـ). دار الكتاب العربي . بيروت، ط (1407هـ)، 713/2.

يعلمون ذلك ولا محالة هم من أطلعهم الله على ذلك بوحي وعلى كل حال فهم لا يوصفون بالأعلمية لأن علمهم مكتسب من جهة الله الأعلم بذلك [55]».

أما في قوله تعالى: ((وما أظن الساعة قائمة ولئن رددتُ إلى ربي لأجدنّ خيرًا منها منقلبًا)) [الكهف: 36]، فقد ورد تكرارها في سورة فصلت مع اختلاف ذكر الفعل "رددت" إلى الفعل "رجعت"، حيث يقول: « ((وما أظن الساعة قائمة ولئن رددتُ إلى ربي لأجدنّ خيرًا منها منقلبًا)) [الكهف: 36] ، وفي حم فصلت: ((ولئن رجعت إلى ربي إنّ لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ))[فصلت: 50] ؛ لأن الرد عن الشيء يتضمن كراهة المردود ولما كان في الكهف تقديره ولئن رددت عن جنتي هذه التي أظن ألا تبيد أبدًا إلى ربي كان لفظ الرد الذي يتضمن الكراهة أولى وليس في حم ما يدل على الكراهة فذكر بلفظ الرجع ليقع في كل سورة ما يليق بها[56]»

ثم التكرار في قوله تعالى: ((ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنّا جعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي ءاذانهم وقرًا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذًا أبدًا))[الكهف: 57] ، حيث ذكرت في سورة الكهف بلفظة فأعرض عنها، أما في سورة السجدة فقد ذكرت بلفظ "ثم أعرض عنها"، يقول الكرماني: « قوله: {ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها} وفي السجدة {ثم أعرض عنها}؛ لأن الفاء للتعقيب وثم للتراخي وما في هذه السورة في الأحياء من الكفار إذ ذكروا فأعرضوا عقيب ما ذكروا ونسوا ذنوبهم وهم بعد متوقع منهم أن يؤمنوا وما في السجدة في الأموات من الكفار بدليل قوله: {ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم}، أي ذكروا مرة بعد أخرى وزمانا بعد زمان ثم أعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء إيمانهم»[57]، يقول الشوكاني في تفسيره: «قال الزجاج: أخبر أخاه بكفره بفناء الدنيا وقيام الساعة:{ ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا } اللام هي الموطئة للقسم، والمعنى: أنه إن يرد إلى ربه فرضا وتقديرا كما زعم صاحبه، واللام في { لأجدن } جواب القسم، والشرط أي: لأجدن يومئذ خيرا من هذه الجنة. في مصاحف مكة والمدينة والشام (خيرا منهما) وفي مصاحف أهل البصرة والكوفة {خيرا منها} على الإفراد، و {منقلبا} منتصب على التمييز أي: مرجعا وعاقبة، قال هذا قياسا للغائب على الحاضر، وأنه لما كان غنيا في الدنيا، سيكون غنيا في الأخرى، اغترارا منه بما صار فيه من الغنى الذي هو استدراج له من الله [58]».

أما في الآية61 من السورة فيقول الله تعالى: ((فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهمت فاتخذ سبيله في البحر سربًا))[الكهف: 61] ، وفي الآية 63أيضاً وردت باختلاف حرف العطف إذ يقول الله تعالى: ((قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنّي نسيت الحوت وما

[55] التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ط1984 هـ، 15/292– 293.

[56] أسرار التكرار في القرآن الكريم المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ص169.

[57] المرجع السابق، ص169– 168.

[58] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: 1250هـ). اعتنى به وراجعه: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ظ4، 1428هـ– 2007م، 4/391.

أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا))[الكهف: 63] ففي الآية الأول "فاتخذ"، أما في الآية الثانية "واتخذ"، وقد فسر ذلك بـ: «قوله: {نسيا حوتهما فاتخذ سبيله}، وفي الآية الثالثة {واتخذ سبيله}؛ لأن الفاء للتعقيب والعطف فكان اتخاذ الحوت للسبيل عقيب النسيان فذكر بالفاء وفي الآية الأخرى لما حيل بينهما بقوله: {وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره}، زال معنى التعقيب وبقي العطف المجرد وحرفه الواو[59]».

وفي التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ذكرت الحكمة من اختلاف التعبيرين "سربا، عجبا": «والحكمة من اختلاف التعبير عن نفس الحادثة حيث قال مرة "سربا" وقال مرة أخرى "عجبا": الجواب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: "فكان للحوت سربا، وكان لموسى وفتاه عجبا".

فسرُّ اختلاف التعبير، هو الناحية التي لحظها التعبير القرآني، والزاوية التي نظر للقصة من خلالها.

فهو في المرة الأولى كان ينظر للحادثة من ناحية الحوت، ويلحظ حركة الحوت في البحر فقال "فاتخذ سبيله في البحر سربا".

أما في المرة الثانية فكان ينظر للحادثة من زاوية موسى عليه السلام وفتاه، ويلحظ أثر حركة الحوت على نفسية وشعور موسى وفتاه، ولا شك أنّهما سيعجبان من حركة الحوت، ولذلك قال: "فاتخذ سبيله في البحر عجبا".

ونشير هنا إلى أنَّ العجب الذي أثارته حركة الحوت وبعثه، ليس مبعثه الإنكار والاستغراب؛ لأنّ موسى عليه السلام وفتاه، يؤمنان بقدرة الله على البعث وصنع المعجزات، وإنّما مبعثه هو دهشة المفاجأة، والانفعال بها. ومثار التعجب: أن يحيا حوت مملح، ثم يثب إلى البحر ويبقى أثر حريته في الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر[60]».

و التكرار في قوله تعالى: ((فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا))[الكهف: 71] ، وقوله تعالى:((فانطلقا حتى إذا لقيا غلامًا فقتله قال أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نُكرًا))[الكهف: 74] ، ففي الآية الأولى قال "إمرا"، وفي الآية الأخرى قال: "نكرا"، وفي هذا يقول الكرماني: «قوله {لقد جئت شيئا إمرا} وبعده {لقد جئت شيئا نكرا}، لأن الأمر العجب والمعجب والعجب يستعمل في الخير والشر بخلاف النكر؛ لأن ما ينكره العقل فهو شر وخرق السفينة لم يكن معه غرق فكان أسهل من قتل الغلام وإهلاكه فصار لكل واحد معنى يخصه[61]».

ومن التكرار في هذه السورة أيضًا، في قوله تعالى:((قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا))[الكهف: 72] وفي قوله تعالى: :((قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا))[الكهف: 75] فقد تكررت نفس الآية مع اختلاف وجود لفظة لك في الآية الأخيرة، ففي: «قوله: {ألم أقل إنك} وبعده {ألم أقل لك إنك} لأن الإنكار في الثانية أكثر وقيل أكد التقدير الثاني بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك أقول

[59]أسرار التكرار في القرآن الكريم المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ص170.

[60]التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج368/4.

[61]أسرار التكرار في القرآن الكريم المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ص170.

وإياك أعني وقيل بين في الثاني المقول له لما لم يبين في الأول[62]».

وفي فعل الإرادة أيضًا تكرار في ثلاث آيات في سورة الكهف، في قوله تعالى: ((أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا))[الكهف: 79] ، و في قوله تعالى: ((فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رُحمًا))[الكهف: 81] ، وفي قوله تعالى:((وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرًا)) [الكهف: 82] ، وفي ذلك يقول الكرماني: «قوله في الأول: {فأردت أن أعيبها}، وفي الثاني: {فأردنا أن يبدلهما ربهما}، وفي الثالث: {فأراد ربك أن يبلغا أشدهما}؛ لأن الأول في الظاهر إفساد فأسنده إلى نفسه والثالث إنعام محض فأسنده إلى الله عز وجل والثاني إفساد من حيث القتل إنعام من حيث التأويل فأسنده إلى نفسه وإلى الله عز وجل، وقيل القتل كان منه وإزهاق الروح كان من الله سبحانه، قوله: {ما لم تسطع عليه صبرا}، جاء في الأول على الأصل وفي الثاني {تستطع عليه صبرا} على التخفيف لأنه الفرع[63]».

وفي فعل الاستطاعة تكرر مرة بالتاء ومرة بدونها في قوله تعالى: ((فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا))[الكهف: 97] ، فقوله تعالى: « ((فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا))[، اختار التخفيف في الأول لأن مفعوله حرف وفعل وفاعل ومفعول فاختار فيه الحذف والثاني مفعوله اسم واحد وهو قوله {نقبا}، وقرأ حمزة بالتشديد وأدغم التاء في الطاء في الشواذ فما استطاعوا بفتح الهمزة وزنه استفعلوا ومثلها استخذ فلان أرضا أي أخذ أرضا وزنه استفعل ومن أهراق ووزنه استفعل وقيل استعمل من وجهين وقيل السين بدل التاء ووزنه افتعل[64]»، يقول محمد الطاهر عاشور في فعل الاستطاعة: «وجملة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا فذلك للجمل التي قبلها ابتداء من قوله أما السفينة فكانت لمساكين، فالإشارة بذلك إلى المذكور في الكلام السابق وهو تلخيص للمقصود كحوصلة المدرس في آخر درسه.

وتسطع مضارع (اسطاع) بمعنى (استطاع). حذف تاء الاستفعال تخفيفا لقربها من مخرج الطاء، والمخالفة بينه وبين قوله: "سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا" للتفنن تجنبا لإعادة لفظ بعينه مع وجود مرادفه. وابتدئ بأشهرهما استعمالا وجيء بالثانية بالفعل المخفف لأن التخفيف أولى به لأنه إذا كرر تستطع يحصل من تكريره ثقل.

وأكد الموصول الأول الواقع في قوله "سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا" تأكيدا للتعريض باللوم على عدم الصبر [65]».

فالتكرار هنا أحيانا باللفظ، وكله بالدلالة؛ فالآيات كلها تؤكد قضية عدم الشرك بالله، وأنه لا شريك له في حكمه، ولا ولد له.

فوظيفة التكرار في هذه السورة تأكدت في كونها حققت تماسكا دلاليا وشكليا عبر تكرار الكلمات، والعبارات،

[62] المرجع السابق، ص170.

[63] المرجع السابق نفسه، ص170 –171.

[64] نفسه، ص171.

[65] التحرير والتنوير، 15/16.

والجمل، والحروف، وعبر التماسك الدلالي بين الآيات، والقصص كذلك، وعبر رد العجز على الصدر، وعبر الآيات التفسيرية [66].

الخاتمة

فقد توصلت بحمد الله إلى عدة نتائج كان من أهمها الآتي:

النتائج

1. أنّ التكرار جاء نتيجة لدواعٍ سياقية ومقتضيات مقامية، استلزمت تكرار الألفاظ والمعاني في معظم القصص الواردة في سورة الكهف خصوصًا في قصة الخضر وموسى– عليهما السلام–.
2. أنّ الظاهرة الحقيقية التي تكمن وراء التكرار هي التنويع في أساليب التعبير، والتعدد في دلالات المعنى؛ وفاءً بحاجة المعنى حسب السياق التي ترد فيه في سورة الكهف.
3. أنّ في كل موضع من مواضع التكرار في آيات سورة الكهف إضافَة وتجديدًا في صور الأداء الأسلوبي، أو في الدلالة، أو فيهما معًا.
4. يؤدي تكرار الألفاظ في سورة الكهف وظيفة دلالية فضلاً عن وظيفته في سبك النص، فامتداده من بداية السورة إلى آخره تجسيد للمحور العام للسورة.

[66] ينظر: بنية النص في سورة الكهف– مقاربة نصية للاتساق والسياق، ص92– 95.

المصادر والمراجع

[1] أثر التكرار في التماسك النصي: مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف. نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة. مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، السعودية، العدد8، رجب1433هـ– مايو 2012م.

[2] أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان. محمود بن حمزة الكرماني. تح: عبد القادر أحمد عطا، راجعه: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.

[3] البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية. رجاء وحيد دويدري. دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان– دار الفكر– دمشق– سورية، ط1، جمادى الآخرة 1421 هـ– أيلول سبتمبر 2000م. غاية النهاية في طبقات القراء. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ). مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.

[4] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. جميل عبد المجيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1998م.

[5] بلاغة الخطاب وعلم النص. صلاح فضل. عالم المعرفة، العدد: 164.

[6] بنية النص في سورة الكهف– مقاربة نصية للاتساق والسياق. رسالة ماجستير، إعداد: شعيب محمودي. إشراف: أ.د يحيى بعيطيش، كلية الآداب واللغات– الجزائر، 2009–2010م.

[7] تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تح: الترزي

وحجازي والطحاوي والعزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ط1395هـ- 1975م.

[8] التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، ط1984 هـ.

[9] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: أ.د مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، 1431هـ-2010م.

[10]التكرار في الشعر الأندلسي: شعراء قرطبة في القرن الخامس الهجري أنموذجًا. أطروحة دكتوراة، إعداد: محمد أحدم مفضي الرقيبات، إشراف: يونس خيرو الشديفات. جامعة اليرموك- كلية الآداب، الأردن، 2011م.

[11]التماسك النصي في شعر زهير بن أبي سُلمى دراسة نحوية نصية. أطروحة دكتوراة، إعداد: يوسف حسن حسن عجيلي. إشراف: أحمد محمد كشك، جامعة عين شمس، 2010م.

[12]تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مراجعة: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

[13]الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ). تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

[14]الحسنة والسيئة. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بترقيم الشاملة.

[15]دراسات في فقه اللغة. صبحي إبراهيم الصالح. دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ - 1960م.

[16]دلائل الإعجاز في علم المعاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ). تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م.

[17]الرّد عَلى النّحاة. أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، ابن مَضَاء، ابن عمير اللخمي القرطبي، أبو العباس (ت: 592هـ). تح: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط1، 1399 هـ- 1979م.

[18]شرح الرضي على الكافية. رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي. ط.د.

[19]الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ). الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م.

[20]العلاقات النصية في القرآن الكريم دراسة نحوية لجهود المفسرين. مصطفى أحمد عبد العليم. جامعة القاهرة- كلية دار العلوم.

[21]علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات. سعيد حسن بحيري. مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية، ط1997م.

[22]الفاصلة في القرآن. محمد الحسناوي. دار عمار، مكتبة لسان العرب، عمان- الأردن، ط2، 1421هـ - 2000م.

[23]فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: 1250هـ). اعتنى به وراجعه: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ظ4، 1428هـ-2007م.

[24]في ظلال القرآن. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ). دار الشروق- بيروت- القاهرة، ط17، 1412هـ.

[25]القاموس المحيط. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ). تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم

العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م.
[26]القرآن الكريم.
[27]كتاب التعريفات. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ). ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1403هـ- 1983م.
[28]الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467- 538 هـ). دار الكتاب العربي . بيروت، ط (1407 هـ).
[29]لسان العرب. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ). دار صادر– بيروت، ط3، 1414هـ.
[30]لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجًا. ليندة قاسم. تقديم: أ.د عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة.
[31]لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. محمد خطابي. المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط1، 1991م.
[32]مختار الصحاح. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ). تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، بيروت– صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.
[33]المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م.
[34]المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى– أحمد الزيات– حامد عبد القادر– محمد النجار)، دار الدعوة.
[35]مناهج البحث في اللغة. تمام حسان. مكتبة الأنجلو المصرية.
[36]نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي. أحمد عفيفي مطر. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.
[37]نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا. الأزهر الزناد. المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م.
[38]النص والخطاب والإجراء. روبرت دي بوجراند. تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ط1، 1418هـ- 1998م.